

الأمير سوار بن أيتكين ودوره في الصراع الإسلامي - الفرنجي الصليبي 1146-1123هـ/541-517م

عصام مصطفى عقلة*

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة البحث في سيرة القائد العسكري سوار، وتوضيح دوره في مواجهة الفرنجة الصليبيين سواء أثناء خدمته في دولة آل طغتكين أو دولة الزنكيين، محاولة وضع هنا الدور في مكانه الصحيح، ومدى تأثيره في حركة الجهاد ضد الفرنجة الصليبيين في المنطقة، وإنجازاته العسكرية في مواجهتهم، ثم محاولة تفسير أسباب إهمال المصادر - باستثناء بسيط - لسيرته وأعماله، ثم لنهايتته، وما هو مصير تلك الشخصية التي صممت المصادر عن تبيان نهايتها. الكلمات الدالة: سوار، الزنكيون، الصليبيون.

المقدمة

مساهمتها فيه.

إنّ الدارس لشخصية الأمير سوار يفاجأ بإهمال المصادر الإسلامية واللاتينية والسريانية لها، بل لم تحظ بعد مصادر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي سوى بإشارات قليلة ونزرة بشكل عام، وحتى مصادر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تُظهرها فجأة، وتُنتهي دورها من دون أيّ حديث مفصل عن بداياتها أو حتى عن مصيرها ونهايتها، وهذا هو مناط السؤال الرئيس الذي تطرحه هذه الدراسة وتحاول الإجابة عليه، لماذا فعلت المصادر هذا الأمر مع الأمير سوار، وما العوامل التي دفعتها لذلك، أو التي أثرت في أصحابها ليقوموا بذلك، وما هو دور تلك الشخصية في الصراع الإسلامي الفرنجي الصليبي؟

أولاً: اسمه وألقابه وبداياته العسكرية:

الأمير سوار⁽²⁾ بن أيتكين⁽³⁾ التركماني⁽⁴⁾، سيف الدين⁽⁵⁾، شجاع الدولة⁽⁶⁾، أحد القادة العسكريين في دولة آل طغتكين في دمشق⁽⁷⁾، ثم في دولة الأتابكة الزنكيين⁽⁸⁾ في حلب، ولم تقدم لنا المصادر . التي بين أيدينا . أيّ معلومات عن ولادته، أو أسرته، أو نشأته، أو حتى بداياته العسكرية، كما أنها لم تُورد له أيّ ترجمة في كتب التراجم تعين على معرفة أصوله أو ولادته أو نشأته، وخصوصاً في تاريخ دمشق لابن عساكر (ت571هـ/1175م) مؤرخ دمشق وبلاد الشام في عصره، وفقدت ترجمته . من جُملة ما فقد . من كتاب بغية الطلب لابن العديم (ت660هـ/1261م)، وأنهى العظيمي تأريخه لحلب في سنة 538هـ/1143م، وهو أكثر من أهتم بالتاريخ لسوار، وتتبع

إنّ محاولة البحث في السير الشخصية عادةً ما يعترها بعض المحاذير المنهجية المتعلقة بمدى موضوعية تناول تلك الشخصيات، وفي كثير من الأحيان يعترها نقص في المادة المرتبطة بسير الشخصيات، مما يشكل عائقاً مهماً في تناولها، وإعطاء صورة واضحة ومتكاملة عنها، إذ لم يهتم المؤرخون، وهو أمر طبيعي ومنطقي، بالكثير من الشخصيات قبل نبوغها واشتهارها، ثم يعكفون، بعد ذلك، على محاولة استكمال تلك النواقص في السيرة، اعتماداً على مرويات لتلك الشخصيات نفسها، أو لشخصيات قريبة منها، أو لمؤيديها، وأحياناً تكون من خصوم لتلك الشخصيات، الأمر الذي يجعل مصداقية تلك المرويات محدودة جداً، ويصعب الوثوق فيها، كما أنها تعتمد في جزء كبير منها على نسج الخيال أو ما ترغب تلك الشخصيات ومؤيديها من رسم صورة لها، أو لما يريد خصومها رسمه لها. وفي أحيان أخرى تبقى تلك الفجوات في سير الشخصيات موجودة. وهذا كله يرتب محاذير كبيرة على الباحثين الذين يتناولون سير تلك الشخصيات.

وضمن هذه المحاذير يحاول هذا البحث دراسة شخصية لعبت دوراً مهماً في الصراع الإسلامي . الفرنجي الصليبي، ولم تتم دراستها بشكل مستقل سابقاً⁽¹⁾، ولا تجلية دورها في ذلك الصراع، ووضعتها في مكانها الصحيح منه، وتبيان مدى

* كلية الاداب، الجامعة الاردنية. تاريخ استلام البحث 2013/6/10، وتاريخ قبوله 2013/9/17.

والمدقق يتبين أن سوار من حماة تمكن من تنشيط حامية مدينة حماة، والمبادرة في الهجوم على الفرنجة الصليبيين، مما أدى إلى تغير استراتيجي بتحول المدينة من الدفاع الكامل إلى الدفاع النشط، والهجوم على مناطق الفرنجة الصليبيين، مما زاد في مكانته وأهميته لدى حكام دمشق من آل طغتكين، وقاموا بالاعتماد عليه في مهام أخطر وأصعب.

ثالثاً: الدفاع عن دمشق:

برز الدور العسكري الكبير للأمير سوار في دولة دمشق عندما تعرضت دمشق نفسها لواحد من أخطر التحديات الفرنجية الصليبية في تاريخها، وذلك عندما استغل بلدوين الثاني (Baldwin II) (511-526هـ/1118-1131م) ملك مملكة بيت المقدس سيطرته على مدينة بانياس⁽¹⁸⁾، وقدم تعزيزات أوروبية لمملكته، ووفاة حاكم دمشق القوي طغتكين في سنة 522هـ/1128م⁽¹⁹⁾، ليتجه صوب دمشق في محاولة لاحتلالها في سنة 523هـ/1125م الأمر الذي دفع حاكم دمشق الجديد تاج الملوك بوري بن طغتكين (522-526هـ/1128-1131م) إلى طلب النجدة من أمراء القبائل العربية والتركمانية، وقواته في حماة، وعلى رأسها الأمير سوار للدفاع عن دمشق في وجه الهجوم الفرنجي الصليبي، فلما تكاملت قواته خرج لمواجهة قوات بلدوين الثاني المعسكرة عند جسر الخشب في مرج الصفر على بعد تسعة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من دمشق، غير أن الجيش الفرنجي الصليبي لم يخرج لمواجهة قوات بوري، واكتفى باتخاذ مواقع دفاعية دون الاشتباك مع قوات دمشق، وذلك لعدة أيام، مما جعل بوري يشك في الأمر، ويستخدم استخباراته لمعرفة سبب هذا السكون في المعسكر الفرنجي الصليبي، ليعلم منهم أن سبب عدم قيام الفرنجة الصليبيين بأية تحركات عسكرية يعود إلى قيامهم بإرسال قوة كبيرة من جيشهم مؤلفة من ألف فارس من خيرة فرسانهم إلى حوران لجمع المؤن والمواد الغذائية والدواب لغاية تزويد الجيش بما يحتاجه أثناء عملياته العسكرية وحصاره لدمشق، فبادر بوري إلى إرسال قوات مختارة من التركمان، والقبائل العربية، وعسكر حماة لمهاجمة القوة الفرنجية الصليبية في حوران، ومنعه من تحقيق أهدافها. وقد وصف وليم الصوري تلك القوة الإسلامية بأنها: "أفضل محاربيه [بوري] وأكثرهم خبرة"⁽²⁰⁾. وأوكل بوري قيادة تلك القوة للأمير سوار أكثر أمراء دولة دمشق خبرة في قتال الفرنجة الصليبيين، وقام سوار بواجبه بشكل جيد حيث كمن للقوة الفرنجية الصليبية في قرية براق⁽²¹⁾ قريباً مرج الصفر حيث معسكر الجيش الفرنجي الصليبي، وتمكن سوار من مفاجأة القوات الفرنجية الصليبية المحملة بالغنائم في براق أثناء عودتها من حوران،

وأخبره، وكان على صلة وثيقة به، ومدحه أكثر من مرة، مما جعلنا نفقد الكثير من المعلومات عن سوار بعد سنة 538هـ/1143م لتوقف العظمي عندها في تاريخه. إلا أن الذي يستنتج ويفهم من المصادر التي ذكرته أنه أحد العسكريين التركمان الذين خدموا في جيش دولة آل طغتكين منذ أيام مؤسسها طغتكين (497-522هـ/1103-1128م)، وإن كُنَّا لا نستطيع تحديد تاريخ دخوله لجيش طغتكين، والثابت أن طغتكين بعد سيطرته على حماة في سنة 517هـ/1123م أوكل إلى سوار المسؤولية العسكرية في الدفاع عنها⁽⁹⁾، وعينه نائباً عنه فيها⁽¹⁰⁾. بمعنى أنه أوكلت إليه قيادة حماة كاملة، وأنه كان في سنة 517هـ/1123م من القادة العسكريين الكبار في جيش طغتكين ليوكل إليه مهمة الدفاع عن مدينة حماة، التي كانت تتعرض لأخطار عسكرية شديدة سواء من حمص⁽¹¹⁾ أو من الفرنجة الصليبيين، وبالتالي لا بد أنه دخل جيش طغتكين في بدايات القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ليصل إلى رتبة نائب حماة أو مسؤول الدفاع عنها.

ثانياً: دور سوار العسكري في حماة:

بدأ سوار من مسؤوليته في حماة بالبروز في الصراع العسكري الإسلامي . الفرنجي الصليبي، فقام من حماة بشن عدد من الغارات على مناطق الفرنجة الصليبيين، لعل من أولها غارته الناجحة على مناطق الفرنجة الصليبيين المجاورة لشيزر⁽¹²⁾، وغارته الفاشلة على كفر طاب⁽¹³⁾ حيث هاجمه الفرنج الصليبيون فجأة، فاضطر للانسحاب مهزوماً باتجاه شيزر⁽¹⁴⁾.

ولم يقم أسامة بن منقذ (ت584هـ/1188م) بتزيم تلك الغارات التي شنّها سوار على الريف الفرنجي الصليبي، غير أنها حدثت بين سنة 517هـ/1123م وسنة 523هـ/1129م السنة التي خرج بها سوار للدفاع عن دمشق، ثم ما لبث بعدها أن ترك دولة آل طغتكين، وانضم لدولة عماد الدين زنكي بن آقسنقر (522-541هـ/1128-1046م).

ولعل أول غارة مؤرخة سنّها سوار من حماة على الفرنجة الصليبيين كانت في سنة 253هـ/1129م على كفر طاب حيث اجتاحتها، وهزم حاميتها، وأوقع بين صفوفهم خسائر فادحة، وغنم منها غنائم كثيرة، وصفها العظمي بقوله: "فاستأصلهم وقط شوكتهم"⁽¹⁵⁾. وعاد إلى حماة بتلك الغنائم والأسرى ورؤوس القتلى⁽¹⁶⁾، ومدحه على هذا النصر المؤرخ العظمي بقصيدة مطلعها⁽¹⁷⁾:

أبْتُ عَزَمَاتُ جَدِّكَ أَنْ تُسَامَا

وَجَلَّ عُلُوُّ قَدْرِكَ أَنْ يُرَامَا

سوار من خدمة تاج الملوك [بوري] فورد حلب⁽²⁸⁾.

رابعاً: سوار نائباً لحلب وقائداً لجبهة الشمال الشامي:

غادر سوار دمشق مستوحشاً هارباً من حاكمها تاج الملوك بوري متجهاً نحو حلب حيث أميرها الجديد عماد الدين زنكي الذي كان قد بدأ بتأسيس دولة له تضم الموصل وحلب، ولديه طموحات واسعة بإنشاء دولة تشمل كل بلاد الشام، فوجد كلاً منهما ضالته التي يبحث عنها في الآخر، الأمير سوار لحاجته إلى حاكم يقدر موهبته وكفائه العسكرية، وجهوده القتالية السابقة ضد الفرنجة الصليبيين، فيمكنه من استكمال دوره العسكري، ويمنحه منصباً. فيما يرى. أنه يستحقه، ويتيح له إعادة تفعيل دوره في القيادة العسكرية.

في حين كان عماد الدين زنكي يحتاج في حلب إلى قائد عسكري خبير ومحنك⁽²⁹⁾، وله معرفة جيدة بمنطقة بلاد الشام عموماً، والشمال الشامي خصوصاً، سواء من ناحية جغرافية، أو سياسية، أو عسكرية، وهو الأهم، ولا سيما للقوى العسكرية للإمارات الفرنجية الصليبية، وقوى الإمارات الإسلامية التي يطمع زنكي بالسيطرة عليها، إضافة لتوافر الخبرة القتالية بمواجهتها، وأساليبها القتالية، وخصوصاً أن مدينة حلب كانت قبل زنكي تتعرض لهجوم عنيف من قبل الفرنجة الصليبيين، وحاصروها أكثر من مرة، وكانوا يشنون غارات متعددة على ريفها، وخصوصاً من إمارتي الرها وأنطاكية⁽³⁰⁾، مع التأكيد على أن زنكي تسلم حكم حلب سنة 522هـ/1128م، وهي شبه منهاره اقتصادياً، وعسكرياً بسبب التغيير السياسي المنكر على حكمها، وغارات الفرنجة الصليبيين الأمر الذي أرهاقها عسكرياً واقتصادياً⁽³¹⁾، مما يعني حاجتها إلى قائد عسكري من مستوى قيادي رفيع لمواجهة هذا الوضع، وإعادة بناء جيشها، وتحويلها من الدفاع أمام الفرنجة الصليبيين إلى الهجوم.

ويضاف إلى ذلك كثرة مشاكل عماد الدين زنكي في الموصل، وخصوصاً صراعه مع الخلافة العباسية، وسلاجقة العراق وفارس، والدويلات الإسلامية في ديار بكر، والإمارات الكردية في شمال العراق⁽³²⁾، مما جعل عماد الدين مضطراً لقضاء وقت طويل خارج بلاد الشام، الأمر الذي يحتاج معه لذلك القائد الخبير ليسلمه مسؤولية حلب وجبهة الشمال والوسط الشامي، وهي السمات التي توافرت في سوار حيث وصفه ابن العديم لحظة انضمامه لعماد الدين بقوله. "كان له بصيرة بالحرب وتدبير الأمور، وله وقعات كثيرة مع الفرنج، ومواقف مشهورة أبان فيها عن شجاعة وإقدام، وصار له بسببها الهيبة في قلوب الكفار"⁽³³⁾.

والراجح أن هذه الحاجة المتبادلة، مع التأكيد على أن حاجة

وهزمها هزيمة نكراء بعد أن قتل غالبية أفرادها حيث لم ينج من تلك القوة سوى أقل من خمسين فارساً، واستعاد ما جمعوا من مواد ومؤن وغنائم، ونقلها إلى دمشق مع رؤوس القتلى، مما أدى إلى رفع معنويات الجيش الدمشقي، الذي بادر فور عودة سوار بشن هجوم كبير على معسكر بلدين الثاني إلا أنهم وجدوه خالياً بسبب انسحاب بلدين الثاني في الليلة السابقة بعد وصول أنباء هزيمة قواته في حوران، وفداحة الخسائر التي تعرضت لها، مما أدى لانخفاض معنويات قواته، وفقدانها المواد الغذائية التي كانت تأمل وصولها مع قواتها الذاهبة لحوران، مما جعل الإقامة حول دمشق لها مخاطر كبيرة، فاضطر بلدين الثاني للانسحاب على هيئة المهزوم⁽²²⁾، ولا يعدو كلام وليم الصوري الذي يعزو سبب الانسحاب لسوء الأحوال الجوية سوى محاولة لتسويق انسحاب بلدين الثاني المشابه للهزيمة⁽²³⁾.

والواضح أن هذا الحصار كان أخطر محاولة فرنجية صليبية للسيطرة على دمشق لم يوازها خطورة سوى محاولتهم أثناء الحملة الفرنجية الصليبية الثانية لاحتلال دمشق سنة 543هـ/1148م⁽²⁴⁾، إلا أن استعدادات تاج الملوك بوري حاكم دمشق، والنجيدات العربية والتركمانية التي انجذرت، إضافة لقدم الأمير سوار نائبه على حماة على رأس قواتها، وقيام سوار مع قواته بتدمير القوة الصليبية الفرنجية الغازية لحوران، كان لها الأثر الأكبر في إفشال هذا الحصار لدمشق، وحماية المدينة من السقوط بيد الفرنجة الصليبيين، وإنزال خسائر كبيرة في صفوفهم، مما دفع العظمي لمدح انتصار دمشق هذا، ونسبه لسوار لدوره الكبير فيه بقصيدة مطلعها⁽²⁵⁾:

نأت من سُلَيْمَى بعد قُرب ديارها

وأقوت مغانيها وشطّ مزارها

ثم قام العظمي بنسبة الانتصار كله لسوار بقوله: "كسر الأمير سيف الدين الفرنج ورَّحَلَهُم عن دمشق"⁽²⁶⁾.

ويبدو أن اتساع شهرة سوار، وزيادة مكانته العسكرية بعد دوره في إفشال حصار دمشق، أفلقت حاكم دمشق وبدأ يخشى من طموح قائده سوار، لذلك عمد إلى تحجيم سلطته ونفوذه من خلال عزله عن نيابة حماة في بدايات سنة 524هـ/1130م، وأوكل إمرتها إلى ولده سونج بن بوري (قتل 528/1133م)⁽²⁷⁾، ثم أبقاه في دمشق ليراقبه ويحد من نفوذه وتعاظم قوته، الأمر الذي أغضب سوار الذي رأى أنه عوقب على انتصاره بدلاً من مكافأته، ثم أخافه تغير بوري عليه، واعتبر عزله عن حماة، وإقامته في دمشق تمهيداً من بوري للقضاء عليه وقتله، وهو ما دفعه في سنة 524هـ/1130م للخروج من دمشق هارباً باتجاه حلب، وقد وصف العظمي المقرب من سوار علاقة سوار مع بوري بقوله: "واستوحش سيف الدين

خطه، أو يحد من إطلاق يده لتنفيذ إعادة بناء قوات حلب، وتنفيذ خطه المتفق عليها مع عماد الدين لتفعيل المواجهة مع الفرنجة الصليبيين، أو الضغط على المدن الإسلامية الطامح عماد الدين بالسيطرة عليها.

بدأ سوار باكورة عملياته العسكرية من قاعدته الجديدة حلب في سنة 525هـ/1130م عندما التقى مع قوات جوسلين الأول (Jocelyn I) (ت524هـ/1131م) أمير الرها في الريف الشمالي لحلب، ولم تحدد المصادر موقع المعركة بدقة. في محاولة منه، فيما يبدو، لاختبار جاهزية مقاتليه من قوات حلب، وإشعار الفرنجة الصليبيين بتغير في سياسات حلب تجاههم، وكانت نتيجة المعركة هزيمة غير حاسمة لسوار وقواته رغم خسارته لمجموعة من مقاتليه في المعركة⁽³⁸⁾.

وقد دفعت هذه الخسارة سواراً إلى العودة لحلب لإعادة تنظيم صفوفه، ومداداة جراح مقاتليه، ثم ما لبث أن غادرها بعد مدة وجيزة مهاجماً ريف الأثارب⁽³⁹⁾، وقام بعملية تدمير ونهب لريف الأثارب ومحيطها في محاولة منه لإظهار أن هزيمته أمام جوسلين غير مؤثرة على قواته، وأنها محدودة الأثر عليها، وأن قواته جاهزة لمواجهة الفرنجة الصليبيين، وقادرة على الضرب في مواقع كثيرة من مناطق الإمارات الفرنجية الصليبية⁽⁴⁰⁾.

ويبدو أن هذه المعارك أوقفت سوار على المستوى القتالي لقوات حلب التي يقودها، ومدى قدرتها العسكرية، لذلك أنصرف، فيما يظهر. إلى إعادة تدريبها وتسلحها، وبدأ بالاتصال بالقبائل التركمانية لاستخدامها عسكرياً لدعم قواته، وقد نجح في هذا الأمر حيث بدأت تتوافد لمساندته العديد من القوى التركمانية القبلية⁽⁴¹⁾، ولسبب عدم جاهزية قواته، وانتظاره لجذب القوى التركمانية، لم يقم سوار خلال سنة 525هـ/1132م بأي نشاط عسكري تجاه الفرنجة الصليبيين، وإنما قام بغارة عسكرية محدودة على ريف حمص حيث دمر زروعها، وذلك في إطار تنفيذ خطة عماد الدين المتمثلة بانهاك حمص اقتصادياً وعسكرياً تمهيداً لإسقاطها وضمها لدولة الزنكيين⁽⁴²⁾.

بدأ سوار نشاطه العسكري من جديد في سنة 527هـ/1133م عندما قام بالهجوم على تل باشر⁽⁴³⁾ التابعة لإمارة الرها الفرنجية الصليبية، وكانت غارته ناجحة حيث قتل قرابة ألف فارس وراجل من حاميتها، وقام بتدمير اقتصادي كبير لريفها، وعاد إلى حلب بغنائم وافرة، ورؤوس القتلى من الفرنج الصليبيين⁽⁴⁴⁾، وكان هذا الهجوم رداً على هزيمة بعض القبائل التركمانية المتحالفة مع سوار أثناء هجومهم على معرة النعمان⁽⁴⁵⁾، وكفر طاب⁽⁴⁶⁾.

ثم اضطر في السنة نفسها لمواجهة هجوم قاده ملك

عماد الدين لسوار كانت أكبر، رتبت على عماد الدين منح سوار ولاية حلب وأعمالها، وقيادتها بشكل كامل نيابة عنه، إضافة لمنحة الاقطاعات العديدة، وإكرامه، وإعطاءه صلاحيات عسكرية واسعة⁽³⁴⁾.

إذا يمكننا القول اعتماداً على ما سبق أن غاية عماد الدين زنكي من استقطاب الأمير سيف الدين سوار بن أيتكين، وتوليته حلب هو تحقيق الأهداف الآتية:

أولاً: إنشاء قوة عسكرية كفوة في حلب قادرة على أن تكون جيشاً مستقلاً ومتفرغاً وقادراً على مواجهة القوة العسكرية للإمارات الفرنجية الصليبية والإمارات الإسلامية الشامية المجاورة لحلب.

ثانياً: القيام بصد هجمات الفرنجة الصليبيين على حلب ضمن إستراتيجية تبدأ بالدفاع النشط بداية، ثم تقوم بمحاولة استرداد ما تستطيع استرداده من الأراضي الواقعة تحت السيطرة الفرنجية الصليبية ثانياً.

ثالثاً: مضايقة حمص بالغارات المتكررة عليها من حلب لتسهل عملية إسقاطها بيد عماد الدين بعد إنهاكها اقتصادياً وعسكرياً.

رابعاً: سد الفراغ الناشئ عن اضطراب عماد الدين زنكي لمغادرة حلب إلى الموصل، والبقاء بها مدة طويلة في صراعاته المتعددة المذكورة آنفاً، مما يرتب وجود قوة عسكرية قادرة على شغل ذلك الفراغ.

خامساً: إن كل تلك الأهداف تحتاج لقائد مجرب وصاحب خبرات قادر على تحقيق تلك الأهداف.

أ- تفعيل جبهة حلب:

تصمت المصادر العربية عن أي دور لسوار في حملة عماد الدين زنكي سنة 524هـ/1130م على حماة التي تمكن من خلالها السيطرة عليها⁽³⁵⁾، رغم أن من البديهي أن يكون لسوار دور رئيس في هجوم عماد الدين على حماة لمعرفته الواسعة والدقيقة بالمدينة وتحصيناتها وحاميتها لعمله السابق قائداً لها، فالمنطقي أن يستخدم عماد الدين خبرات سوار وعلاقاتها بحامية حماة وقادتها لتسهيل السيطرة عليها.

والجدير بالملاحظة هنا أيضاً قيام عماد الدين زنكي بإخراج كبير قائده صلاح الدين الياغسياني⁽³⁶⁾ (ت552هـ/1157م) من نيابة حلب التي منحت لسوار إلى نيابة حماة بعد سيطرته عليها⁽³⁷⁾، مما يؤشر على الثقة والمكانة العالية التي حظي بها سوار عند عماد الدين استناداً إلى خبراته السابقة، وربما رغبة من عماد الدين بإطلاق يد سوار في حلب لتنفيذ خطه فيها دون وجود قائد كبير من مستوى الياغسياني قد يعارضه في

استغل حالة النزاع الداخلي في إمارة أنطاكية⁽⁵⁷⁾، وشنَّ هجوماً مدمراً على مقاطعات إمارة أنطاكية، فتمكن من الوصول إلى ريف اللاذقية، وقام بتدمير أكثر من مئة قرية من ريفها، ثم وصل إلى اللاذقية نفسها، واستطاع دخول المدينة ونهبها وقتل وأسر عدداً من أهلها، ثم عاد إلى حلب محملاً بالغنائم والأسرى⁽⁵⁸⁾ التي ذكرها ابن القلانسي اعتماداً على كتاب رسمي ورد من إمارة شيزر إلى أتابكية دمشق أورد ملخصاً له بـ"سبعة آلاف أسيرٍ ما بين رجل وامرأة وصبيّة وصبي، ومائة ألف رأس دواب ما بين بقر وغنم وحُمُر، والذي حازوه واجتاحوه يزيد عن مائة قرية كبار وصغار، وهم متواصلون، بحيث قد امتلأت الشام من الأسارى والدواب"⁽⁵⁹⁾، ثم أشار الكتاب الرسمي إلى نتائج هذه الحملة على إمارة أنطاكية "وهذه نكبة ما مني الإفرنج الشماليون بمثلها"⁽⁶⁰⁾.

وكانت هذه الحملة مدمرة على إمارة أنطاكية ومجاورتها إمارة الرها، وضربه قوية بحيث لم يترك سوار لهم مجالاً لإعادة بناء قوتهم، وألزمهم سياسة الدفاع أمام هجماته الصاعقة عليهم، والتي استمرت في السنوات اللاحقة.

إنَّ عدم قيام الفرنجة الصليبيين بأي ردِّ فعلٍ تجاه هذه الغارة دفع عماد الدين زنكي إلى مغادرة الموصل باتجاه حلب حيث اتجه منها صحبة سوار باتجاه حمص التي كان سواراً قد أنهكها بغاراته عليها، ودفع حاكمها إلى تسليمها لحاكم دمشق شهاب الدين محمود (ت 533هـ/1138م) معتقداً أنَّ الوقت قد حان لإسقاطها، معتمداً على أنَّ الفرنجة الصليبيين لن يقوموا بنجدها، إلا أنَّ المدينة صمدت أمام حصاره، الأمر الذي دفعه إلى فك الحصار عنها، والتوجه لحصار قلعة بعيرين⁽⁶¹⁾ التابعة لإمارة طرابلس الفرنجية، لاعتقاده أن صمود حمص أمامه سببه نجدات فرنجية صليبية لها، وأمام حصار عماد الدين لبعيرين توجهت قوة فرنجية صليبية بقيادة فولك ملك القدس، وريموند الثاني (Rymond II) (ت 547هـ/1152م) أمير طرابلس لإنقاذ القلعة، فسارع عماد الدين بإرسال قائده سوار مع قوة مختارة من جيشه لمفاجأة القوة الفرنجية الصليبية وتدميرها قبل وصولها إلى بعيرين، وهو ما حدث حيث تمكن سوار من مباغتة القوة الفرنجية الصليبية وتدميرها حيث قدرت خسائر الفرنجة فيها بألفي قتيل سوى الأسرى الذين كان من بينهم ريموند الثاني، وهرب فولك مع بقايا قواته إلى بعيرين وتحصن فيها مع المحاصرين، وبالتالي تمكن عماد الدين زنكي من إحكام حصاره لبعيرين التي كادت تسقط لولا وصول أبناء تقدم الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني (John II) (512-537هـ/1118-1143م) إلى أنطاكية، وقرب وصول قوات أنطاكية والرها لإنقاذ المحاصرين في بعيرين، لذلك قام عماد

مملكة بيت المقدس فولك الأنجوي (Fulk of Anjo) (526-538هـ/1131-1143م) الذي حاول تخفيف الضغط الإسلامي على إمارة أنطاكية من خلال مهاجمة القوى التركمانية المنتشرة حولها، وقام بتجميع قواته من منطقة نواز إحدى قرى جبل السَّمَّاق، الأمر الذي دفع سوار إلى الخروج بقواته لمواجهة فولك في نواز خشية من استفزاده بالقبائل التركمانية، ومهاجمته لريف حلب، وقد جرت مناوشات غير حاسمة بين سوار وفولك، غير أن فولك قام بعدها بانسحاب مفاجئ إلى قنسرين⁽⁴⁷⁾ ثم هاجم بقوات كبيرة معسكر سوار الأمر الذي أدى إلى هزيمة سوار وقواته وخسارته مئة فارس من قواته بينهم بعض القادة العسكريين المهمين، ثم انسحابه إلى حلب لإعادة تجميع قواته وتعويض خسائره، ثم قام مستغلاً تفرق قوات فولك في الريف الحلبي للغارة وجمع الغنائم، بمهاجمة إحدى السرايا الفرنجية الصليبية الكبيرة ودمرها، وقتل منها مئة فارس مما أجبر فولك على الإنسحاب والعودة إلى أنطاكية ليعقد بعدها هدنة مؤقتة مع سوار⁽⁴⁸⁾.

ثم قام سوار في بداية سنة 528هـ/1133م بشن غارة مشتركة مع حسان البعلبكي (ت 549هـ/1154م) أمير مَنبُج⁽⁴⁹⁾ على قوات إمارة الرها التي حاولت الإغارة على ريف حلب، فحطم تلك القوة، وتركها بين قتيل وأسير⁽⁵⁰⁾، ثم قام بغارة ناجحة على مناطق الجزر، وزردنا⁽⁵¹⁾، وحارم⁽⁵²⁾، ومعرّة النعمان، ومعرّة مصرين⁽⁵³⁾، وهي تابعة لإمارة أنطاكية، وعاد بالغنائم والأسرى إلى حلب بعد أن قام بتدمير اقتصادي كبير فيها⁽⁵⁴⁾.

إن تلك الغارات الناجحة لسوار جعلت حلب بقيادته تقود سياسة هجومية على إمارتي الرها وأنطاكية، وجعلت من تلك الإماراتين تتخذان سياسة دفاعية في مواجهة سوار، مما جعل جبهة الشمال الشامي تشهد تحولاً عسكرياً كبيراً لصالح الجانب الإسلامي، إضافة إلى تخليص حلب جزئياً من الحصون الفرنجية الصليبية التي كانت تحيط بها، وتحكم الحصار عليها، كما مهدت لقيام عماد الدين زنكي في سنة 529هـ/1134م بحملة عسكرية على عدة حصون فرنجية صليبية تمكن خلالها من تحريرها، وهي حصون: الأثارب، وزردنا، وتل أغدي، ومعرّة النعمان، وكفرطاب⁽⁵⁵⁾، بعد أن أنهكها سوار بغاراته عسكرياً واقتصادياً، وهو الأمر الذي أضعف زنكي بزيادة الصلاحيات لنائبه على حلب سوار لدرجة جعلت سبط ابن الجوزي يصف هذه الصلاحيات الجديدة في بداية سنة 530هـ/1135م بقوله: "وكان زنكي بالخليفة [موقع جغرافي على الجانب العراقي من نهر الفرات] وكان بحلب الأمير سوار يخلف فيها زنكي، وقد قنع منه بالإسم لا غير"⁽⁵⁶⁾.

وفي سنة 530هـ/1135م أعاد سوار نشاطه العسكري حيث

الدين محمود حاكم دمشق سنة 533هـ/1138م للتفاهم مع عماد الدين، الذي تضمن زواج عماد الدين من والدة محمود، والتنازل له عن حمص مقابل تسليم عماد الدين بعين لدمشق مع مجموعة من الحصون الصغيرة⁽⁶⁸⁾، مما مكن عماد الدين من توحيد حلب مع حمص وحماة وبلبيك.

ويعد هذا التوحيد لمعظم الشمال والوسط الشامي توجه عماد الدين لشنّ هجوم على القلاع الصليبية المعيقة لسهولة الاتصال بين هذه المدن، فهاجم في سنة 533هـ/1138م بُزاعة، والآثرب، وتمكن من احتلالها جميعاً، ثم ما لبث عماد الدين بعد أن اطمئن إلى أمان وهدوء جبهة الشام إلى التوجه نحو الموصل لمعالجة مشاكلها، وهي المشاكل التي منعتة من العودة إلى الشام حتى سنة 538هـ/1143م تاركاً إدارة حلب لنائبه سوار⁽⁶⁹⁾.

أدار سوار حلب بشكل جيد خلال فترة غياب عماد الدين، وحظي بشيء من الهدوء في بداية تلك الفترة حيث انصرف إلى تنظيم إدارة حلب العسكرية، ويبدو أنّ هذا الهدوء منحه وقتاً لاستقبال الشعراء هو وحاجبه ساوتكين الذي لا نعرف عنه شيء سوى اسمه، وأنه كان حاجباً لسوار⁽⁷⁰⁾.

استعاد سوار بعد فترة الهدوء نشاطه العسكري حيث هاجم في سنة 535هـ/1140م قوة فرنجية قرب شيزر، وتمكن من هزيمتها، وتدمير جزء من قواتها⁽⁷¹⁾، وردّ الفرنجة الصليبيون على هذه الغارة في سنة 536هـ/1141م بالغارة على سرمين⁽⁷²⁾، وجبل السّماق⁽⁷³⁾، ونهبوا مناطقها، فردّ سوار بإرسال ولده علم الدين الذي لم تذكر المصادر عنه أي معلومات سوى هذه المشاركة العسكرية، ومشاركة أخرى سترد لاحقاً، على رأس جزء من قوات حلب لرد الغارة، فتمكن من متابعة المغيرين، وهاجم ريف أنطاكية ونهبه، ثم عاد إلى حلب محملاً بالغانم⁽⁷⁴⁾. وقام سوار في إطار رده على هذه الغارة بمهاجمة أراضي أنطاكية بنفسه حيث هاجم معسكراً لقوات أنطاكية عند نهر العاصي، وتمكن من تدميره، وقتل وأسر عدد من جنوده⁽⁷⁵⁾.

وقام سوار في سنة 537هـ/1142م برد هجوم راييموند أمير أنطاكية على بُزاعة حيث تصدى لهجومه وأجبره على التراجع، غير أنه لم يتمكن من صدّ هجوم جوسلين الثاني أمير الرّها لتزامنه مع هجوم أنطاكية فتمكن جوسلين من أسر تسعمائة فلاح غير أنّ مطاردة سوار له أجبرته على عقد صلح مع سوار بوقف بموجبه هجماته، ويعود إلى إمارته، ويطلق سراح أسراه⁽⁷⁶⁾.

ثم انشغل سوار بعدها بغارات على إمارة أنطاكية وردّ غاراتها على الريف الحلبي، ففي سنة 538هـ/1143م قامت حامية بأسوطا⁽⁷⁷⁾ الفرنجية بمهاجمة كفر نبل⁽⁷⁸⁾ من قرى ريف حلب، وقاموا بسبي أهلها، إلا أن سرعة ردّ سوار عليهم كانت

الدين بعرض الصلح على فولك المتضمن تسليم بعين لعماد الدين مقابل السماح لفولك وقواته بالخروج الآمن من المدينة وإطلاق سراح أسراهم مقابل مبلغ مالي، وهذا ما تم لسوء أوضاع المحاصرين، وبأسهم من وصول نجدات إليهم⁽⁶²⁾.

عاد عماد الدين بعد تسلمه بعين إلى حصار حمص، موكلاً لسوار مهمة التجول العسكري في المنطقة كلها خوفاً من تقدم طلائع القوات البيزنطية إليها، وليقوم بإنذار عماد الدين إذا تقدم الإمبراطور باتجاه حلب، وقد تمكن سوار في سنة 531هـ/1136م من تدمير قوة استطلاعية بيزنطية قرب بعين، وعاد بالأسرى إلى حلب⁽⁶³⁾، ثم لما تقدم الإمبراطور يوحنا الثاني مع القوات الفرنجية الصليبية باتجاه حلب في سنة 532هـ/1137م ضمن اتفاقه مع راييموند (Raymond) (ت544هـ/1146م) أمير أنطاكية الذي ينص على تنازل راييموند عن أنطاكية للبيزنطيين مقابل منحه حلب وحمص وحماة وشيزر بعد السيطرة عليها⁽⁶⁴⁾، مما دفع عماد الدين المحاصر لحمص إلى توجيه سوار إلى حلب مع نخبة عسكرية لتمتين دفاعات المدينة، والدفاع عنها في حال حاصرها الإمبراطور البيزنطي، وكان لوصول سوار إلى حلب دور في رفع معنويات أهلها وحاميتها الذين بادروا إلى زيادة تحصين المدينة وانتظروا تحركات الإمبراطور الذي هاجم بُزاعة⁽⁶⁵⁾ وسيطر عليها، وأسر أهلها، ثم توجه منها إلى حلب حيث حاصرها لمدة قصيرة، ثم سرعان مع انسحب منها بسبب قوة تحصيناتها، وقوة الإجراءات الدفاعية التي أقامها سوار، متجهاً نحو الأثارب التي هربت حاميتها منها مما سهل سيطرة البيزنطيين عليها، ووضعوا بها أسرى بزاعة، ثم توجهوا نحو شيزر لحصارها إلا أنّ سوار سرعان ما أغار على الأثارب واستعادها، وحرر جميع الأسرى المسلمين فيها.

والظاهر أنّ سبب انسحاب الإمبراطور يوحنا من أمام حلب هو قوة تحصينات المدينة، وكفاءة إجراءات سوار الدفاعية بها، وخشية الإمبراطور من الوقوع بين المدينة وعماد الدين زنكي، إضافة للانقسام الذي ساد معسكره وخصوصاً من قبل الفرنجة الصليبيين⁽⁶⁶⁾، ثم اضطر الإمبراطور لرفع حصاره عن شيزر لحصانة المدينة، ومسارعة عماد الدين لنجدتها، وقيامه مع قائده سوار بمهاجمة سرايا ومعسكرات البيزنطيين حولها⁽⁶⁷⁾.

وهكذا تمكن عماد الدين زنكي بمساعدة فاعلة من نائبه على حلب سوار، من إثبات قوة الدولة الزنكية، وأنها قادرة على ردّ إعتداءات القوى الفرنجية الصليبية جميعها، وقادرة على هزيمتها، كما أنها قادرة على مواجهة القوى البيزنطية، وأنها قادرة على الدفاع عن القوى الإسلامية الواقعة خارج حدودها في مواجهة الفرنجة والبيزنطيين، وهو الأمر الذي دفع شهاب

تولية نور الدين خصوصاً أنهما أكبر قائدين للجيش الزنكي الشامي، وهما صاحبا السلطة في الشام الزنكية [حلب، حماة] حيث سيكون مقر نور الدين، وبالتالي مكّناه من الوصول إلى حلب، ودخول قلعتها وممارسة الحكم فيها⁽⁸⁷⁾.

والمستغرب هنا أن ابن أبي طي⁽⁸⁸⁾ نسب هذا الأمر كله . أي العودة بنور الدين ثم تملكه حلب . إلى أسد الدين شيركوه (ت1168/هـ564م) الذي جعله يذهب بعد علمه بمقتل عماد الدين إلى نور الدين ويخاطبه وكأنه صاحب السلطة في الشام الزنكية قائلاً: "وقد رأيتُ أن أصيرك إلى حلب، وتجعلها كرسي ملكك، وتجتمع في خدمتك عساكر الشام... ولما دخلوا حلب جاء أسد الدين إلى تحت القلعة ونادى واليها، وأصعد نور الدين إليها، وقرر أمره ومشى أحواله، فكان نور الدين يرى له ذلك، وأسد الدين يمتُّ بأنه كان السبب في توليته"⁽⁸⁹⁾. وهذا الأمر ليس غريباً من ابن أبي طي المنحاز لصالح الدين وأبناءه من بعده، والمعادي لعماد الدين ونور الدين لتشددهما السنّي ضد الشيعة، وولاءه للأيوبيين ورغبته في تحسين انقلاب صلاح الدين على أسرة نور الدين وسيطرته على حكم ممتلكات نور الدين من خلال التأكيد على أن ملك نور الدين بالأساس يعود فضله إلى الأيوبيين ممثلين بأسد الدين شيركوه، غير أن مناقشة روايته يظهر أنها موضوعة منحولة، لأن أسد الدين لم يكن بعد قد شغل منزلة كبيرة في الجيش الزنكي، ولم تكن له آنذاك منزلته التي أصبحت في أواخر عهد نور الدين ككبير قادة الدولة النورية العسكريين، إضافة إلى أن سوار كان الحاكم الفعلي لحلب، ودون رضاه وموافقته وتأييده لا يمكن لنور الدين دخول المدينة، وكذلك أن ابن القلانسي هو أقرب للحدث، ومعاصر له، ولا غايات أو أهواء له في إيداع خبر لم يحدث. وهو الأمر الذي لم يستطيع فعله ابن العديم، وإن عمى على دور سوار، فقال: "فأخذ عسكر حلب ولده نور الدين وطلبوا حلب فملكوه إياه"⁽⁹⁰⁾ دون أي إشارة منه إلى دور سوار، وهو قائد جيش حلب، في مراعاة منه . فيما يبدو . للأيوبيين الذين كان يعيش في ظلهم، ويتولى مناصب في دولتهم بحلب. أما أبو شامة فإنه وإن نقل رواية ابن القلانسي ثم رواية ابن عساكر، إلا أنه نقل رواية ابن أبي طي ثم رواية ابن الأثير مضيفاً إليها إشارة لم يذكرها ابن الأثير، وتناقض كل رواية ابن الأثير نصها: "وكان نور الدين محمود بن الشهيد قد سار لما قُتل والده إلى حلب فملكها، وذلك بإشارة أسد الدين شيركوه عليه بذلك"⁽⁹¹⁾ وهذه الإضافة لم ترد عند ابن الأثير في انحياز واضح منه لمسألة التقرب من الأيوبيين، وإعطاء منزلة كبيرة لأسد الدين على اعتبار أنه أول رجالات الأيوبيين بروزاً، وصاحب أسبقيتهم في السلطة.

مفاجأة لهم حيث لحقهم وعلى مقدمته ولده علم الدين، وتمكن من هزيمتهم، واسترداد السبي منهم، وأسر مجموعة من مقاتليهم⁽⁷⁹⁾، ثم ترصد سوار لحامية بأسوطا حتى تمكن من تدمير معظمها، وأسر قائدها الذي أودع سجن حلب⁽⁸⁰⁾، ثم هاجم في سنة 539هـ/1144م قافلة تجارية فرنجية قرب أنطاكيا، وتمكن من تدميرها، وأخذها غنيمة⁽⁸¹⁾.

والظاهر أن تركيز سوار في عملياته العسكرية على إمارة أنطاكيا كانت ضمن مخطط عماد الدين الاستراتيجي لفصل أنطاكيا عن الرها، وإيهام جوسلين الثاني بأن الهدف الرئيس من هذه الهجمات هو أنطاكيا، وأنه بعيد عن الخطر الزنكي، وذلك رغبة من عماد الدين بمفاجأة إمارة الرها بهجومه لإسقاطها.

وتعدُّ سنة 1144/539م سنة حاسمة حيث وصل عماد الدين زنكي إلى حلب لقيادة العمليات العسكرية بنفسه ووضعاً استعادة الرها نصب عينيه، وهنا لا تورد المصادر أي خبر عن سوار حتى مقتل عماد الدين زنكي سنة 1146/541م غير أن استيلاء عماد الدين على الرها⁽⁸²⁾ في سنة 1144/539م لا يمكن أن لا يشارك به قائد في مستوى سوار، لكن المصادر أجمعت على عدم ذكره في هذه المعركة، ويبدو أن المصادر انشغلت في عظم النصر، ورغبته في نسبته لعماد الدين زنكي وحده، وهو ما جعلها تتجاهل سوار ومساهمته في تحرير المدينة، إضافة لانتهاء تاريخ العظيمي عند حوادث سنة 538هـ/1143م وهو المؤرخ المعاصر لسوار والأكثر اهتماماً بأخباره، إضافة إلى أن ابن القلانسي المؤرخ المعاصر الآخر لسوار أكد في كتابه أنه تعرض لما شغله عن الاستقصاء في حوادث سنوات 535-540هـ/1140-1145م⁽⁸³⁾، ولذلك تحدث باختصار عن تحرير الرها⁽⁸⁴⁾، في حين أن بقية المصادر، وهي مصادر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تعمدت إهمال دور سوار لأسباب سنذكرها لاحقاً.

وتطبق المصادر للأسباب السالفة الذكر على عدم ذكر أي خبر لسوار في حملات عماد الدين زنكي حتى مقتله في سنة 1146هـ/541م، ورغم عدم ذكر المصادر لمشاركة سوار في حملة عماد الدين على قلعة جعبر⁽⁸⁵⁾ حيث قتل عماد الدين، غير أن بعضها تورد أخباراً تؤكد وجود سوار في حملته حيث يذكر ابن القلانسي وسبط ابن الجوزي أنه بعد مقتل عماد الدين زنكي سارع صلاح الدين الياغسياني وسوار إلى أخذ نور الدين محمود بن زنكي، واتجها نحو حلب برفقة جيوش الشام حيث مكّناه من قلعة حلب، وأعلنه ملكاً للممتلكات الزنكية في بلاد الشام، في حين أن جيش الموصل نصب سيف الدين غازي بن زنكي حاكماً للموصل، والممتلكات العراقية للدولة الزنكية⁽⁸⁶⁾، وهذا يعني أنهما وخصوصاً سوار لعبا دوراً أساسياً ورئيسياً في

الفرنجي الصليبي السابق جوسلين بالتمرد على الحامية الإسلامية فيها، وتمكنوا من السيطرة على المدينة دون القلعة، مما دفع نور الدين للمسارعة في الرد من خلال الهجوم على المدينة لاستعادتها، وأرسل على مقدمة قواته الأمير سوار أكثر إمرائه خبرة وأقواهم في ذلك الوقت الذي تمكن مع الجيش الزنكي من استعادة المدينة، إعادة إخضاعها لحكم نور الدين⁽⁹⁷⁾.

هذا هو الدور الوحيد الذي ذكرته المصادر لسوار بعد تولية نور الدين الحكم، وكان دوراً مهماً لدولة نور الدين وعلاقاتها مع القوى الإسلامية والفرنجية الصليبية المحيطة بها، ولعب الدور الأكبر فيها الأمير سوار لخبرته الواسعة، وكفائه القتالية، وقيادته لقوات حلب التي اعتاد منذ أكثر من سبعة عشر سنة على قيادتها، وبالتالي كان هو القائد الفعلي لتلك المعركة التي استعاد بها الرها، وأدت إلى اقتناع القوى المحيطة بدولة نور الدين بوجود حاكم قوي، وحكم متماسك قادراً على رد الاعتداءات عليه.

بعد هذه المعركة لا تذكر المصادر سوار بأي إشارة، سواء أكان لأعمال عسكرية له، أو مساهمات في إدارة نور الدين، أو إلى وفاته أو مقتله، بل تناسه كأنه لم يكن موجوداً، ويعود ذلك - فيما أرجح - إلى تعرض سوار وولده علم الدين للحجر أو التهميش أو الوضع تحت الإقامة الجبرية، وربما القتل من قبل نور الدين، وذلك - فيما يبدو - رغبة من نور الدين في ممارسة الحكم بشكل كامل في حلب وممتلكاته الشامية بعد أن فرض عليه - فيما يظهر - سوار نوعاً من التدخل في قراراته، وربما حاول إصدار بعض القرارات بذاته دون الرجوع لنور الدين، خصوصاً وأن سوار اعتاد على الانفراد بحكم حلب في عهد عماد الدين زنكي، وربما لم يستطع سوار التعامل مع حاكم دائم إلى جانبه في حلب يقيد صلاحياته، ويجعله تابعاً له بشكل كامل ومجرد أمير عسكري يلتزم بأوامر قائده، وخصوصاً أنه - فيما أرجح - ما زال ينظر لنور الدين على اعتباره ذلك الشاب قليل الخبرة⁽⁹⁸⁾ الذي لا يمتلك - حسب وجهة نظر سوار آنذاك - من المؤهلات سوى أنه وريث عماد الدين، إضافة إلى أن نور الدين لا يقبل من يقيد سلطته أو يشاركه في السلطة لذلك سارع بالقضاء عليه، والذي يعزز هذا الرأي قيام صلاح الدين الياغسياني القائد العسكري الثاني في بلاد الشام، والأمير الأول من ناحية المكانة فيها، والمساهم مع سوار في تمكين نور الدين من حكم ممتلكات عماد الدين في بلاد الشام، بالهرب من حلب إلى ولايته حماة، ورفضه للقاء مع نور الدين، خوفاً على نفسه من بطش نور الدين به أو كما عبر عنه ابن القلانسي بقوله "على سبيل الاستيحاش والخوف على نفسه من أمر يدبر عليه"⁽⁹⁹⁾ مما يؤشر إلى أن نور الدين بعد أن تمكن من القبض

في حين حاول كل من ابن عساكر، وابن الأثير - التركيز على أن انتقال نور الدين من قلعة جعبر إلى حلب بعد مقتل والده، وتوليه الحكم فيها، تم بمبادرة منه، ولا دخل لأحد من القادة العسكريين في هذا الانتقال للسلطة، فقال ابن عساكر: "وسير صبيحة الأحد [صبيحة يوم مقتل والده] إلى الموصل مع جماعة من أكابر دولة أبيه وقال لهم: إن وصل أخي سيف الدين غازي إلى الموصل فهي له وأنتم في خدمته، وأن تأخر فأنا أقرر أمور الشام وأتوجه إليكم، ثم قصد حلب، ودخل قلعتها... ورتب في القلعة والمدينة النواب"⁽⁹²⁾. إذاً يحاول ابن عساكر إظهار عدم وجود أي دور لأحد في تولية نور الدين حلب، بل ويظهره بصورة الأمير القوي الذي له السلطة لا على جيش حلب، بل وعلى أمراء الموصل أيضاً، وأنه قرر الانتقال إلى الموصل في حال عدم وصول شقيقه سيف الدين غازي إليها، وهو الأمر الذي لا ينطبق مع معظم الروايات للمصادر الأخرى، ويبدو أن علاقة ابن عساكر الوثيقة بنور الدين، وزهد نور الدين، وتمسكه بالسنة، وتشجيعه العلماء، وجهاده، دفعت ابن عساكر إلى سلوك هذا المسلك، إضافة إلى ابن عساكر لم يلتق نور الدين إلا بعد سيطرته على دمشق سنة 549هـ/1154م⁽⁹³⁾، وكانت شخصية نور الدين قد نضجت، ورسخت قدمه في الحكم، وسيطر على أركان دولته، فاعتقد ابن عساكر أنه كان على تلك الصورة منذ توليه الحكم.

أما ابن الأثير، فكانت منطلقاته مختلفة في هذه القضية، فهو لا يريد أن يظهر نور الدين بصورة المحتاج لغيره لحكم ولاية تابعة لوالده⁽⁹⁴⁾، وذلك حُباً في الزنكيين، وولاء منه لتلك الأسرة التي شغل أجداده ووالده وهو شخصياً مناصب بها، وأحسنت إليه وإلى أسرته إحساناً كبيراً⁽⁹⁵⁾، أو أنها أصبحت الرواية الرسمية للقصر، والمذاعة على الملأ خاصة أن ما حدث جرى التكتّم عليه، ولما آلت السلطة للأيوبيين حوروا ما يعرفونه، وأدعوا رواية رسمية أخرى بطلها أسد الدين، وهو ما لا يمكن للمؤرخ المعاصر لهم نقضها أو تجاوزها.

وبالتالي نحن أمام ثلاث روايات إحداهما صحيحة، وهي رواية سوار، وأخرى رسمية زنكية بطلها نور الدين، وثالثة رسمية أيوبية بطلها أسد الدين، ومناقشة كل منها يعكس واقعاً مغايراً وهدفاً مكتوماً غير أن واقع الحال آنذاك يرجح ما ذهب إليه من صحة رواية سوار.

وبعد تولية نور الدين الحكم في حلب في سنة 541هـ/1146م حاولت القوى المختلفة في بلاد الشام استغلال هذا الأمر لاختياره، والتوسع على حسابه، فقام معين الدين أنر (ت544هـ/1149م) أتاكب دمشق بهاجمة بعلبك والسيطرة عليها⁽⁹⁶⁾، وكذلك قام سكان مدينة الرها بالتحالف مع أميرها

قام به سوار إلى أسد الدين.

الخاتمة

ونلخص في نهاية البحث إلى النتائج الرئيسة الآتية:

- لعب الأمير سوار دوراً مهماً في مواجهة الفرنجة الصليبيين في أخطر فترات مواجهتهم، وخصوصاً من ولايته في حماة، أو في دفاعه عن دمشق أمام هجوم بلدوين الثاني عليها الذي كاد أن يسقطها.
- قام سوار بتجهيز قوات حلب بشكل جيد وفاعل، مما جعلها قوة عسكرية يخشى بأسها منذ أن تولاه في سنة 524هـ/1130م
- قام سوار بصد غارات الفرنجة الصليبيين على حلب وريفها، وقام بتحويل سياستها من الدفاع إلى الهجوم على الإمارات الفرنجية، وأدى دوره مع جهود عماد الدين زنكي إلى تدمير الحصون الفرنجية القريبة من حلب مما رفع عنها ضغطهم العسكري عليها.
- أدار سوار حلب إدارة عسكرية جيدة بشكل شبه مستقل، وبصلاحيات كبيرة من عماد الدين زنكي.
- لعب سوار دوراً مهماً في تحرير الرها الثاني سنة 541هـ/1146م في عهد نور الدين زنكي.
- أهملت المصادر مصير سوار بعد سنة 541هـ/1146م، ولم تعد تذكر له أي خبر والسبب في ذلك يعود إلى رغبة الزنكيين ثم الأيوبيين من بعدهم إلى طمس مصير تلك الشخصية، ومحاولة إزالة أي ذكر لها لدى الناس.

على مقاليد الحكم في حلب واستعادة الرها وتصالح مع شقيقه سيف الدين غازي سنة 542هـ/1147م الذي كان يخاف منه نور الدين على ملكه بل وعلى حياته⁽¹⁰⁰⁾، أحب أن يتخلص من القائد الكبيرين اللذين يشاركه في السلطة، وبهذا السياق يبدو أنه تمكن من القضاء على سوار وقتله، ويبدو أن المنفذ لهذا الأمر هو أسد الدين شيركوه القائد العسكري الذي خلف سوار في دوره مع قادة آخرين.

ويبقى أخيراً السؤال المهم لماذا سكنت المصادر على هذه القضية، ولماذا أهملت مصير سوار ولم تشر إليه، وبالتالي إننا هنا أما ترجيحات واقتراحات لهذا السلوك من المصادر، أهمها:

- رغبة بعض المصادر بعدم الإشارة إلى قضية قتل سوار في سيرة نور الدين الذي أذهلهم تقواه وزهده، وورعه وعدله، وجهاده الكبير ضد الفرنجة، ومشاريعه الوحدوية، وتحالفه القوي مع فقهاء أهل السنة، والكثير من المؤرخين كانوا من الفقهاء، أو القضاة، أو المحدثين من أهل السنة.

- عمل بعض المؤرخين تحت حكم نور الدين ثم أسرته من بعده، فلم يرغبوا بدمغ سيرته بهذا الفعل، خصوصاً وأن سوار اشتهر بجهاده وتصديه للفرنج الصليبيين من مثل ابن القلانسي، وابن الأثير.

- تورط أسد الدين شيركوه في هذا العمل، ومحاولة المؤرخين المعاصرين لحكم الأسرة الأيوبية، والعاملين في إدارتهم، والخاضعين لحكمهم بعدم ذكر هذا الأمر في سيرة أسد الدين مراعاة للأيوبيين، إضافة إلى رغبتهم في منح الدور الأكبر لأسد الدين، وإخراج سوار من الدور العسكري في عهد نور الدين أو في تسهيل توليته السلطة لتسهيل نسبة جزء مما

الهوامش

- (4) انظر عن اسمه وألقابه: ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص358؛ العظمي، تاريخ حلب، ص381؛ أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص161؛ الأصفهاني، البستان الجامع، ص353؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص685، ج11، ص8، 40، 57؛ ابن أبي الدم الحموي، التاريخ المظفري، ص224؛ ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص305، 306؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص445، 4630؛ زبدة الحلب، ج2، ص245؛ الدواداري، الدرّة المضية، ص503، 529.
- (5) اطلق عليه ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص358؛ والأصفهاني، البستان الجامع، ص359، في إحدى رواياته، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص191: "سيف الدولة"، ورجحنا رواية العظمي وأسامة بن منقذ للقبه، لقبهما واتصالهما بسوار.

(1) انظر حول الدراسات العربية والأوروبية عن الحروب الفرنجية الصليبية وشخصياتها الإسلامية والفرنجية الصليبية كوركيس عواد، مصادر الحروب الصليبية، ص232-263؛ محمد مؤنس عوض، فصول ببلوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ص77-294. وجدير بالملاحظة هنا أن دائرة المعارف الإسلامية خلت من مادة لسوار.

(2) شذ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص685، ج11، ص8، 40، 57، وسماه "أسوار" في حين سماه ابن واصل، مفرج الكرب، ج1، ص41، "إبراهيم بن سوار".

(3) الأصفهاني، البستان الجامع، ص352؛ والدواداري، الدرّة المضية، ص529 "الدكر"، في حين سماه ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص305، "أيدكين".

- (6) انفرد العظيمي، تاريخ حلب، ص381، بهذا اللقب
- (7) دولة آل طغتكين (الدولة البورية): دولة قامت في دمشق منذ سنة 497هـ/1103م وحتى سنة 549هـ/1155م انظر: ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص235-505؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص376.
- (8) دولة الأتابكة الزنكيين: دولة أسسها عماد الدين زنكي سنة 521هـ/1127 في الموصل، ثم ضم إليها حلب سنة 522هـ/1128م وانقسمت بعد مقتله سنة 541هـ/1146م إلى دولتين، الأولى في حلب بقيادة ابنه نور الدين، والثانية في الموصل بقيادة ابنه غازي ثم ابنه الثاني مودود، واستمرت في الموصل حتى سقطت سنة 619هـ/1222م انظر: ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص32-203.
- (9) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص335؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص373، الأصفهاني، البستان الجامع، ص335؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص618.
- (10) ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص41.
- (11) كانت حمص تحكم من قبل خير خان بن قراجة، وهو شقيق حاكم حماة محمود بن قراجة الذي قتل سنة 517هـ/1123م مما مكن طغتكين من السيطرة عليها، وحاول السيطرة على حمص غير أنه فشل في ذلك، مما جعل حماة بعد عودته إلى دمشق محطاً لغارات حمص عليها. انظر: ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص332، 335.
- (12) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص161، وشيزر: بلدة تقع على نهر العاصي، وتتبع منطقة محردة ادارياً، وتبعد عن حماة 30كم، وقلعتها ما تزال آثاره موجودة. انظر طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي لسوري، ج3، ص89.
- (13) كفر طاب: قرية سورية الآن، تقع على بعد 3كم من مدينة خان شيخون التابعة لمحافظة إدلب، وتبعد عن معرة النعمان 28كم. انظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص142، وحاشية(1).
- (14) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص162.
- (15) العظيمي، تاريخ حلب، ص381.
- (16) المصدر السابق، ص381-382؛ ابن أبي الدم الحموي، التاريخ المظفري، ص224.
- (17) العظيمي، تاريخ حلب، ص382، ولم يورد سوى هذا البيت، وهو مطلع القصيدة.
- (18) بانياس: مدينة على ساحل البحر المتوسط في سوريا، تتبع محافظة طرسوس، تبعد عن طرسوس 38كم شمالاً. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج1، ص226.
- (19) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص356-357؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص382؛ ولیم الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج2، ص645-646؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص657؛ زنسيان، تاريخ الحروب
- الصليبية، ج2، ص287.
- (20) تاريخ الأعمال المنجزة، فيما وراء البحار، ج2، ص646.
- (21) براق: قرية تابعة لمنطقة إزرع في محافظة درعا السورية، انظر: ابن القلانسي تاريخ دمشق، ص358، حاشية(1).
- (22) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص357-360؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص382؛ ولیم الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج2، ص646؛ الأصفهاني، البستان الجامع، ص341؛ ابن أبي الدم الحموي، التاريخ المظفري، ص224؛ الدوادري، الدرّة المضية، ص503. وقارن ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص657-658 الذي جعل قائد قوات بوري "أميراً من أمرائه يدعى شمس الخواص".
- (23) تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج2، ص646.
- (24) انظر حول الحملة الصليبية الثانية ومحاولتهم احتلال دمشق: ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص461-466؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص129.
- (25) تاريخ حلب، ص382. ولم يورد العظيمي سوى مطلع القصيدة.
- (26) تاريخ حلب، ص382. يؤكد جب أن هذه الهزيمة التي تعرض لها بلدين الثاني أمام دمشق وضعت حداً لسياسة بلدين الثاني الهجومية على دمشق لعدة سنوات انظر: جب، زنكي وسقوط الرها، ص148.
- (27) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص361؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص283، هذا ولم تذكر المصادر عزل سوار عن حماة، غير أنها تذكر سونج أميراً لها سنة 524هـ/1130م، مما يؤكد عزله عنها.
- (28) العظيمي، تاريخ حلب، ص382، وانظر، ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص245، وهو ينقل عن العظيمي فيما يظهر.
- (29) كان عماد الدين زنكي بعيداً عن بلاد الشام وصراعاتها طوال خدمته العسكرية لدى السلاجقة حتى وصوله إلى منصب أمير الموصل ثم حلب، وبالتالي فهو غير مطلع بشكل كامل على أوضاعها، ويحتاج إلى عسكري خبير في المنطقة. أنظر: ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص15-37؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج8، ص3847، ؛ عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ص35-45.
- (30) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص337-338، 344، العظيمي، تاريخ حلب، ص365، 370، 374، 377؛ ولیم الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج2، ص223-227، ص238.
- (31) انظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص209، 211، 220، 227، 236، 237.
- (32) انظر عن صراعاته ومشاكله: ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص38، 45، 47، 48، 57، 64-66، عماد

- (33) زبدة الحلب، ج2، ص245.
- (34) العظيمة، تاريخ حلب، ص382-383، ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص245.
- (35) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص462؛ العظيمة، تاريخ حلب، ص383.
- (36) صلاح الدين الياغسياني كان أمير حاجب للبرسقي حاكم الموصل قبل عماد الدين، فلما قتل وتوفي من بعده ولده مسعود أرسل الياغسياني إلى السلاجقة لتولية الأبن الأصغر للبرسقي على الموصل، إلا أن الياغسياني رشح عماد الدين زنكي، فوافق السلطان محمود السلجوقي على توليته الموصل، لذلك أصبح أكبر أمراء زنكي، ثم ولاه حلب بعد سيطرته عليها ثم نقله إلى حماة، وبقي والياً عليها ثم ولاه نور الدين حمص التي بقي والياً عليها حتى وفاته. انظر عنه: ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص531، ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص34.
- (37) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص650، ص658.
- (38) العظيمة، تاريخ حلب، ص373؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص247، وأرسل العظيمة بقصيدة إلى سوار يعزيه فيها على خسارته ومقتل بعض أصحابه ولم يورد سوى مطلعها: فداؤك من تخطفه الحام وصاحبك السلامة والدوام. وانظر أيضاً عن تلك الصدامات بين سوار وإمارة الرها: نيكلسون، تطور الدويلات اللاتينية، ص118.
- (39) الأتاب: بلدة ومركز ناحية في منطقة جبل سمعان التابع لمحافظة حلب لسورية. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج2، ص51.
- (40) العظيمة، تاريخ حلب، ص382؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص247؛ نيكلسون، تطور الدويلات اللاتينية، ص118.
- (41) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص685؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص251، ص260؛ رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص310.
- (42) العظيمة، تاريخ حلب، ص384.
- (43) تل باشر: منطقة تقع في لواء عينتاب جنوب تركيا على الحدود مع سوريا. انظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص321-322، وحاشية المحقق.
- (44) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص374؛ العظيمة، تاريخ حلب، ص385؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص8؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص251؛ ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل، ج3، ص251-252، محمود الروبضي، إمارة الرها، ص523، ومدحه العظيمة على هذا النصر بقصيدة لم يورد سوى مطلعها وهو:
تقلد النصر واشدد خلفك العذبا
لا يرجع الله في شيء إذا وهبا
- (45) معرفة النعمان: مدينة تقع على السفح الغربي لجبل الزاوية، وهي مركز منطقة معرفة النعمان التابعة لمحافظة إدلب السورية. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج5، ص305.
- (46) العظيمة: تاريخ حلب، ص385؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص251. ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل، ج3، ص205.
- (47) قنسرين: مدينة أثرية خربة الآن، تقع على بعد 40كم عن حلب. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج3، ص609.
- (48) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص381؛ العظيمة، تاريخ حلب، ص385-368، وجعل الحادثة في سنة 528هـ/1134م؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص685؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص146؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص251؛ وليم الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج2، ص661-662 حيث بالغ في ذكر قتلى قوات سوار وجعلها ثلاثة آلاف مقاتل، ولم يذكر قصة غارة سوار؛ نيكلسون، تطور الدويلات اللاتينية، ص119. هذا وذكر العظيمة أسماء القادة المسلمين الذين قتلوا في معركة قنسرين وهم: أبو القاسم التركماني، أبو يعلى بن الخشاب، الأمير خليفة، وشاهنشاه بن بلك. في حين اقتصر ابن القلانسي على وصفهم دون ذكر أسماءهم فقال: "جماعة من المقدمين المشهورين".
- (49) منبج: مدينة تابعة لمحافظة حلب، وهي مركز ناحية تقع في الشمال الشرقي لحلب على بعد 80كم. انظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص111، حاشية (3).
- (50) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص382؛ العظيمة، تاريخ حلب، ص386؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص685؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص252.
- (51) زردنا: قرية سورية صغيرة تقع في الشمال الشرقي لمحافظة أدلب، تقع ضمن ناحية معرفة مصرين، تبعد عن أدلب 20كم. انظر ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص133، طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج2، ص547.
- (52) حارم: مدينة سورية تتبع محافظة إدلب تقع على الشريط الحدودي مع تركيا، وهي مركز منطقة من مناطق محافظة إدلب، تبعد عن إدلب 53كم. انظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص90، حاشية (1)، طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج2، ص7.
- (53) معرفة مصرين. بلدة في هضبة إدلب الشمالية، مركز لناحية معرفة مصرين التابعة لمحافظة إدلب، تبعد عن مدينة إدلب 10كم. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج5، ص304.
- (54) العظيمة، تاريخ حلب، ص386؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص254.

- (55) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص259.
- (56) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص158-159.
- (57) لتبيان ظروف إمارة أنطاكية والصراع الداخلي على العرش بها. انظر: نيكلسون، تطور الدويلات اللاتينية، ص120-121.
- (58) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص402؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص40؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص260-261؛ ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل، ج3، ص217.
- (59) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص402، وجاء في الكتاب الرسمي أنه أرسل للبشرى بهذه الحملة والفتح؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص40، وأضاف إلى الغنائم التي أوردها ابن القلانسي "وما سوى ذلك من الأقمشة والعين والحلي فيخرج عن الحد" وأكد أنهم أخربوا اللاذقية وما جاورها.
- (60) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص402.
- (61) بعين: قرية إلى جانبها قلعة في منطقة مصياف التابعة لمحافظة حماة السورية، انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج1، ص336.
- (62) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص407، تاريخ حلب، ص388؛ وليم الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج2، ص686-692 وأكد أن جميع مشاة فولك أصبحوا بين قنيل وأسير بسبب هجوم سوار؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص51؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص261-262، هذا وتجعل المصادر الإسلامية خروج فولك لنجدة حمص، وهذا أمرٌ مستبعد؛ ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل، ج3، ص218، مجهول، تاريخ الرهاوي المجهول، ج2، ص132.
- (63) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص412؛ العظمي، تاريخ حلب، ص388؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص262.
- (64) ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل، ج3، ص217؛ نيكلسون، تطور الدويلات اللاتينية، ص123.
- (65) بزاعة: مدينة سورية تابعة لمحافظة حلب، تبعد عن حلب 35كم، انظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص260، حاشية (1)، طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج1، ص297.
- (66) انظر تحليلاً لذلك: نيكلسون، تطور الدويلات اللاتينية، ص123.
- (67) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص416-417؛ العظمي، تاريخ حلب، ص393-394، الأصفهاني، البستان الجامع، ص352-353؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص56-57، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص165؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص264-266، 271؛ يوحنا كيناموس، أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس،
- ص38؛ ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص305؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص78، الدواداري، الدرّة المضوية، ص528-529
- (68) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص418؛ ابن الأثير، الكامل، ج11، ص55.
- (69) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص423؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص269؛ حب، زكي وسقوط الرها، ص151.
- (70) ابن العديم، بغية الطلب، ج10، ص4458، 4630.
- (71) العظمي، تاريخ حلب، ص395.
- (72) سمرين: بلدة تقع غربي قنسرين وشمال معرة النعمان، وهي على بعد 50كم في الجنوب الغربي لحلب. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج3، ص616.
- (73) جبل السُمّاق: يسمى الآن جبل الأعلى، وهو جبل عظيم من جبال حلب الغربية، يقع في شمالي معرة النعمان: انظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص66، حاشية (2).
- (74) العظمي، تاريخ حلب، ص396.
- (75) العظمي، تاريخ حلب، ص396؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص90؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص276؛ الدواداري، الدرّة المضوية، ص537
- (76) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص432؛ العظمي، تاريخ حلب، ص397؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص277.
- (77) باسوطا: قرية تقع إلى الجنوب من مدينة عفرين على بعد 9كم، وهي تتبع إدارياً لمحافظة حلب السورية، وبها قلعة أثرية: انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج1، ص217.
- (78) كفر نبل: مدينة وناحية إدارية تابعة لمنطقة معرة النعمان في محافظة أدلب السورية، تقع على بعد 11كم من معرة النعمان من الناحية الغربية. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج4، ص65-66.
- (79) العظمي، تاريخ حلب، ص397.
- (80) العظمي، تاريخ حلب، ص398؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص278.
- (81) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص435؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص277-278.
- (82) حول تحرير الرها وما مارسة عماد الدين من سرية مطلقة في تحركاته ضدها وإيهام جوسلين أنه خارج في حملة ضد قلاع الأكراد. انظر: محمود الروبضي، إمارة الرها الصليبية، ص561-576.
- (83) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص441.
- (84) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص436.
- (85) قلعة جعبر: قلعة في وادي الفرات، ضمن منطقة مركز محافظة الرقة في سوريا. انظر: طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج1، ص676.
- (86) تجدر الإشارة هنا إلى أن عماد الدين زنكي كان قد أقام

- (92) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج19، ص119.
- (93) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص503.
- (94) ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص84-86؛ الكامل في التاريخ، ج11، ص112-113.
- (95) ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص7-10 من مقدمة المحقق، طارق هدهود، ابن الأثير، ودوره في الكتابة التاريخية، ص404-418.
- (96) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص449؛ الإصفهاني، البستان الجامع، ص364.
- (97) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص449-550؛ الأصفهاني، البستان الجامع، ص364.
- (98) ولد نور الدين في سنة 511هـ/1117م، وبالتالي كان عمره عند توليه حلب ثلاثون سنة، ولم تشر المصادر إلى أي دور له في حياة والده، بل الإشارات إلى أنَّ عماد الدين كان يحضر سيف الدين غازي ولده الأكبر ليخلفه في حكم دولته. انظر: ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص162.
- (99) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص446.
- (100) ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص87-88 ويشير ابن الأثير إلى أن سيف الدين غازي لما قطع الفرات باتجاه الشام خاف منه نور الدين، ورفض مقابلته حتى اتفقا أن يلتقيا ومع كل واحد منهما خمسمائة فارس ثم فاجأ سيف الدين نور الدين بأنه لم يرافقه سوى خمسة فرسان، وأنه طمأن نور الدين على ملكه ونفسه.
- (87) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص445؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص191.
- (88) يحيى بن حامد الغساني الحلبي الشهري بابن أبي طي، ولد سنة 575هـ/1179م وتوفي سنة 630هـ/1232، فقدت كل مؤلفاته، وهو شيعي، صاحب ميول ضد الزنكي، وانحياز لصالح الدين والأيوبيين الذين خدمهم في حلب. انظر عنه: لؤي بوعنه، يحيى بن أبي طي مؤرخا، ص39-63.
- (89) أبو شامة، الروضتين، ج1، ص168-169 نقلاً عن ابن أبي طي.
- (90) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص285.
- (91) أبو شامة، الروضتين، ج1، ص169.

المصادر والمراجع

- (ت555هـ/1160م)، تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، 1983م، دار الفكر، دمشق.
- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر العمروي، 1995م، دار الفكر، بيروت.
- ابن نضيف الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي بن نضيف الحموي (ت644هـ/1246م)، التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، نشر ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، 1995م، ج21، دار الفكر، دمشق.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1297م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، 1953م، القاهرة.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن أسماعيل المقدسي (ت165هـ/1266م)، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.
- أبو هدهود، طارق، 2009، ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان
- أسامة بن منقذ، مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ جيش وإدارة خاصة بحلب وبقية الشام، وجيش وإدارة خاصة بالموصل والعراق، لذلك عند إعلان مقتله اختار الجيش الشامي نور الدين، في حين اختيار الجيش العراقي سيف الدين، وكان مقتل عماد الدين المفاجئ بداية الصراع بين الجناح العراقي الذي له مرشحه وكان يعتقد نفسه صاحب السلطة الأعلى بحكم أنه في قاعدة الدولة الموصل، إضافة للصراع بين صلاح الدين الياغسياني وجمال الدين الأصفهاني، وزير عماد الدين في الموصل، وكل منهما قائد لجناح في الدولة الأول للجناح الشامي، والثاني للجناح العراقي، دور في نوع من الصراع بين الجناحين، فكان تدخل سوار إلى جانب الياغسياني لترشيح نور الدين لحكم حلب حاسماً في هذا المجال. انظر: ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص84-86.
- (87) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص445؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص191.
- (88) يحيى بن حامد الغساني الحلبي الشهري بابن أبي طي، ولد سنة 575هـ/1179م وتوفي سنة 630هـ/1232، فقدت كل مؤلفاته، وهو شيعي، صاحب ميول ضد الزنكي، وانحياز لصالح الدين والأيوبيين الذين خدمهم في حلب. انظر عنه: لؤي بوعنه، يحيى بن أبي طي مؤرخا، ص39-63.
- (89) أبو شامة، الروضتين، ج1، ص168-169 نقلاً عن ابن أبي طي.
- (90) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص285.
- (91) أبو شامة، الروضتين، ج1، ص169.
- ابن أبي الدم الحموي، إبراهيم بن عبد الله (ت642هـ/1244م)، التاريخ المظفري، نشر ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، 1995م، ج21، دار الفكر، دمشق.
- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت630هـ/1232م)، الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق بعد القادر طليحات، 1963م، دار الكتب الحديثة في القاهرة.
- ابن الأثير، عز الدين علي محمد الشيباني (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، 1979م، دار صادر، بيروت
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت660هـ/1261م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، 1988م، دار الفكر، دمشق.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت660هـ/1261م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، 1954م، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق.
- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي التميمي

1256م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1951م
 طلاس، مصطفى (مشرف)، 1992م، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مركز الدراسات العسكرية، دمشق.
 العظيمي، محمد بن علي الحلبي (ت556هـ/1161م)، تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، 1984م، دن، دمشق
 عماد الدين خليل، 1971م، عماد الدين زكي، الدار العلمية، بيروت.
 كوركيس عواد، 1987م، مصادر الحروب الصليبية، مجلة المورد، مجلد16، ع4.
 مؤنس، محمد، 1996م، فصول بيلوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والنشر، القاهرة.
 ميخائيل السرياني (ت586هـ/1199م)، تاريخ ميخائيل الكبير، ترجمة مارغويغورس صليبا شمعون، 1996م، دار ماردين، حلب.
 نيكلسون، روبرت، تطور الدويلات اللاتينية 511-539هـ/1118-1144م، ترجمة عبد الرحمن المغربي، 2004م، نشر ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس عوض، دار بيت المقدس للنشر والتوزيع، رام الله.
 وليم الصوري (ت581هـ/1185م)، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، 1990م، دار الفكر، بيروت.
 يوحنا كيناموس (ت. بعد 581هـ/1185م)، أعمال يوحنا ومونويل كومينوس، ترجمة سهيل زكار، 1997م، نشر ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج28، دار الفكر، دمشق.

الشيزري الكلبلي (ت584هـ/1188م)، كتاب الاعتبار، تحقيق قاسم السامرائي، 2009م، وزارة الثقافة، عمان.
 الأصفهاني، عماد الدين محمد بن حامد (ت597هـ/120م)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق محمد طعاني، 2003م، مؤسسة حمادة للدراسات، إربد.
 بواعنة، لؤي 2009م، يحيى بن أبي طي مؤرخاً، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، وزارة التعليم العالي، وعمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، عمان، المجلة 3، ع2. ص39-63.
 جب، هاملتون، زكي وسقوط الرها، ترجمة عليّة الجنزور، 2004م، نشر ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس عوض، دار بيت المقدس للنشر والتوزيع، رام الله.
 الدواداري، أبو بكر عبد الله بن إيبك (ت736هـ/1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر (الدرّة المضية في أخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق صلاح الدين المنجد، 1961م، المعهد الألماني للآثار، القاهرة.
 رنسيان، ستفين، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، 1993م، دار الثقافة، بيروت، ط3.
 الرهاوي المجهول (ت632هـ/1234م)، تاريخ الرهاوي المجهول، تعريب الأب البير أبونا، 1986م، مطبعة شفيق، بغداد.
 الرويضي، محمود، 2002م، إمارة الرها الصليبية، وزارة الثقافة، عمان.
 سبط ابن جوزي، أبو المظفر يوسف بن قزوغلي (ت654هـ/

Prince Sewar Bracelt bin Aitken and his Role in the Muslim Conflict Crusader 1123-1146AD-517-541AH

Isam M. Oqleh*

ABSTRACT

The study aims to search in the biographical sources of the military commander Sewar, and clarifies its role in the face of the Crusaders and Zinkieys, He tries is to put this role in the right place, and the extent of its effect on the movement of the jihad against the Crusaders in the region, and accomplishments of military in confronting them, and then tries to explain the reasons for the neglect of simple sources except for his work, and what is the fate of those personal silent source indicate his end.

Keywords: Sewar, Zindieys, Crusaders.

* Faculty of Arts, The University of Jordan. Received on 10/6/2013 and Accepted for Publication on 17/9/2013.